



التاريخ: 15/02/2008

الشيخ الطيب محمد خير الشعال

((سلسلة قوانين القرآن))

((سنن الله مع الظلم و الظالمين))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتبه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعة الله، وأذكركم بأني وإياكم عبيد، وللعبد في هذه الحياة شأنه أن يطيع سيده، وكلما أطاع سيده رقى وكلما عصاه هبط، وإن سيدنا جل جلاله أمرنا بالطاعة ووعدنا بالجنة، ونهانا عن المعصية وأوعدنا بالنار، ونحن عباد ضعاف لا نطبق البلاء ولا نطبق العذاب ولا نطبق الحريق...

إنه من ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)﴾ [آل عمران]

وقال ربنا: ﴿فَهَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا سُنتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا (43)﴾ [فاطر] مثل الذي فعلناه مع الأولين نفعله مع الآخرين....

﴿فَهَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا سُنتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)﴾

[فاطر]

نحن في الخطبة الثامنة من سلسلة ((السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن))...

ومرة جديدة أيها الإخوة في القرآن قرارات، قوانين، نواميس تحكم هذا الكون كله، ولا تتبدل ولا تتغير، ولا تحابي ولا تماري، من فعل أسبابها نال نتائجها...

ونحن إذا قرأنا قوانين القرآن، إذا فهمنا قوانين القرآن، إذا عملنا بقوانين القرآن، أفراداً وأسراراً وجماعات نجونا وسلمنا في الدنيا وفي الآخرة، وإن خالفنا هذه القوانين تنالنا نتائج هذه القوانين وهذه المخالفات، لهذا كانت هذه السلسلة....

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الإبتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال.

وعنوان خطبة اليوم: ((السنن الإلهية في الظلم والظالمين))...

الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، أو هو مجاوزة الحق، أو هو منع أهل الحقوق حقوقهم، وهو خلاف العدل.

والظلم ظلمات: أن تظلم نفسك أو أن تظلم الآخرين...

وظلم النفس بالفسق والفجور والخروج عن طاعة الله، ظلمت هذه النفس التي فطرها الله على الطاعة فأخرجتها عن الطاعة... وظلم الآخرين بالاعتداء على أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم...

وفي أسماء الله تعالى التسعة والتسعين: أسماء كثيرة مشتقة:

فاسم الله تعالى الرحيم مشتق من الرحمة، والكريم مشتق من الكرم، والغفور مشتق من المغفرة، والستار مشتق من الستر، والودود مشتق من الود وهكذا...

لكن الله تعالى لما أراد أن ينفي عن نفسه الظلم لم يسم نفسه العادل لكنه سمي نفسه العدل.

والعدل مصدر والمصدر يدل في اللغة على الثبوت وعلى الدوام، يعني أن العدل المطلق تجده عند الله...

يعني أن المكان الذي لا يظلم فيه أحد هو الذي يرتبه الله، يعني أن الشريعة التي لا ظلم فيها هي شريعة الله...

وقال ربنا في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي..)) [مسلم]

وقال: ﴿(48) . . وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف]

وكل هذا إشارات وعبر للمؤمن أن لا يكون من الظالمين...

ورد الظلم و اشتقاقاته في القرآن الكريم مئتان وتسعة وثمانون مرة.. مائتان وتسع وثمانون مرة في القرآن حديث عن الظلم، وإني قرأت في هذه المواضع أربع سنن إلهية في الظلم والظالمين...

**السنة الأولى: لا يفلح الظالمون.**

قرار لا ينقض ولا يطعن به ولا يحاجي أناساً ولا يميل لآخرين... لا يفلح الظالمون.

مهما علا الظالم، مهما ملك، مهما ارتقى، مهما أمر، مهما نهي، مهما امتطى فإنه لا يفلح...

لأن الله تعالى أعادها أربع مرات في القرآن الكريم: ﴿ (20) . . إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (21)

مرتين في الأنعام، وثالثة في يوسف، ورابعة في القصص، ومعنى الفلاح يعني البقاء في النعيم، ويعني النجاة مستحيل أن ينجو ظالم، ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم...

مستحيل أن يبقى ظالم في نعيم، قد نرى الظالم يعلو يوماً لكنه سيسقط دوماً، قد نراه يرتقي

اليوم لكنه سيهبط غداً، قد نراه يزهو في الدنيا لكنه سيهوي في الآخرة. ﴿ (20) . . إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ ﴾ (21) [الأنعام]

فراجع نفسك كي لا تكون ظالماً لأحد لأن القرار صدر بأن الظالم لا يفلح...

حدثوا بأن أحد الأكاسرة بنى قصراً على دجلة ولما انتهى من بنيانه وفرشه راح ينظر إلى جماله وحوله حاشيته وكبراهه، هنا قاعة الشرف، وهنا قاعة العرش، وهنا قاعة الحريم، وهذه القاعة للطعام، وهذه للاستقبال وهكذا...

ويفتح النوافذ نافذة تطل على المدينة، وثانية تطل على الجبل، وثالثة على البساتين، والحدائق ورابعة على النهر... أطل كسرى من أحد النوافذ فوجد على شاطئ دجلة وعلى مرمى نظره كوخاً متواضعاً فغضب وقال: كيف تسمحون لكوخ حقير أن يقيم بجانب قصري؟ ثم أمرهم بإزالته ورميه في النهر ففعلوا...

في المساء أتت امرأة عجوز كانت تحتطب وتعمل لكسب عيشها، أتت تفتش عن كوخها ولما لم تجده قال لها الناس عم تفتشين؟! قالت: أفتش عن كوشي ليس لي سواه... قالوا: لقد ألقاه كسرى في النهر اليوم... فنظرت إلى القصر العامر والدموع تنهمر في عينيها ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا رب أنا كنت غائبة فأين كنت أنت؟! فأمر الله سبحانه فخسف بالقصر ومن فيه...

عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ((يقول الله : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري)) [الطبراني]

القرار صدر لا يفلح الظالمون...السنة الأولى في الظلم والظالمين: لا يفلح الظالمون..

السنة الثانية: هلاك الأمم بظلمها...

أيها الإخوة من سنن الله المطردة إهلاكه الأمم إذا عم فيها الظلم...إذا ظلم القوي الضعيف، إذا اعتدى الغني على الفقير، إذا بغى القادر على العاجز، إذا طغى الأمير على الرعية، إذا تحكم صاحب الجاه بمن لا جاه لهم فقد أشرفت هذه الأمة على الهلكة...وفي بيان هذه السنة آيات كثيرة في كتاب الله العزيز:

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾ [الأنعام]

﴿(46) هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47)﴾ [الأنعام]

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا (I3)﴾ [يونس]

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ (II)﴾ [الأنبياء]

هلاك الأمم بظلمها، ولعل سائلاً يسأل لكننا نرى كثيراً ظالماً يتمادى ولم يهلكه الله!!؟ نرى أمةً تطغى ولا يقهرها الله...نرى ظالماً في فلسطين...نرى اعتداء في العراق..نرى تمادياً من إسرائيل وحلفائها... فأين هذه السنن الأمم تهلك بظلمها!!؟

الجواب في سورة الأعراف الآية 42:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)﴾ [الأعراف]

والجواب في سورة إبراهيم الآية 42:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ ۖ (42)﴾ [إبراهيم]

فهلاك الأمم واقع بظلمها حتماً لكن بأجل يحدده الله تعالى...

السنة الأولى: لا يفلح الظالمون... السنة الثانية هلاك الأمة بظلمها...

السنة الثالثة: تبقى الدول مع الكفر، لكنها لا تبقى أبداً مع الظلم...

قد يبقى الله أمة كافرة كلها لا تؤمن به أصلاً لكن يتعاملون فيما بينهم بالمعروف، لكنه لا

يرضى أبداً أن يبقى أمة يشيع فيها الظلم.. تبقى الدول مع الكفر، ولا تبقى مع الظلم...

هذه السنة جاءت في سورة هود الآية 117، يقول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ - يعني بكفر - وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (II7)﴾

[هود]

ليست من عادة الله ولا من سننه ولا من قوانينه أن يهلك أمة أهلها مصلحون ولو كانت

كافرة..

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (II7)﴾ [هود]

بظلم يعني: بكفر في هذه الآية.

وما كان ربك ليهلك القرى بكفر إذا كان أهلها مصلحون في المعاملات فيما بينهم، لكن إذا

ظلم بعضهم بعض أهلهم...

قال القرطبي في تفسيرها: معنى الآية: إن الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى يضاف إليه الفساد...

وقال الطبري: لا يهلكهم إذا تناصفوا وإن كانوا مشركين وإنما يهلكهم إذا تظالموا..  
ومن هنا قالوا: العدل أساس الملك.

وقالوا: لا شيء أسرع في فساد الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الظلم.

جاء في كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك:

اعلم أن العدل أشرف أوصاف المملكة وأقوم سمات الدولة لأنه يبعث على الطاعة ويدع إلى الألفة، وبه تصلح الأعمال وتنمو الأموال وتنتعش الرعية وتكمل المزية، وقد ندب الله تعالى الخلق إليه وحثهم عليه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ ۝۹۰﴾  
[النحل]

قال الحسن: إن الله تعالى جمع الخير كله والشر كله في هذه الآية..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ ۝۹۰﴾  
[النحل] ٩٠ ﴿قد تبقى الأمم مع الكفر لكنها لا تبقى مع الظلم..

السنة الرابعة والأخيرة: يمهّل الله الظالم ولا يهمله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( إن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلت )) ثم

تلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) ﴿هود﴾ [ابن

حبان]

قال الله تعالى في معنى هذه السنة الإلهية: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ

دَابَّةٍ . . (6١)﴾ [النحل]

العباد يظلمون ولو آخذهم الله مباشرة لما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ...

الله يؤخر ك إذا ظلمت لترجع، لتتوب، لترد الحقوق إلى أهلها، لتستأنف توبة وعملاً جديداً

لكن هناك أجل إذا حان فلا مفر منه، إن الله يمهل الظالم ولا يهمله...

يا أيها الإخوة هذا ما قرأت من سنن إلهية في الظلم والظالمين:

- 1- لا يفلح الظالمون....
- 2- هلاك الأمم بظلمها...
- 3- تبقى الدولة مع الكفر ولا تبقى مع الظلم...
- 4- يمهل الله الظالم ولا يهمله....

الآن أعرض عليكم سرداً صورياً من الظلم لتجنبها، حتى لا تحل علينا سنن الظلم والظالمين:

- 1- المحاباة في تطبيق القانون ظلم.
- 2- عدم الإنكار على الظالم ظلم.
- 3- معاونة الظالم ظلم.
- 4- رفع الأسعار بدون مبرر ظلم.
- 5- تغيير مواصفات البضاعة المستوردة ظلم.



- 6- تأخير معاملات المراجعين ظلم..
- 7- تبديل الشهادات وتزوير الحقائق في القضاء ظلم.
- 8- عدم وفاء المهندس بالشروط أو مخالفته مواعيد التسليم ظلم.
- 9- الاقتراض من الناس وعدم الأداء مع توفر السيولة ظلم.
- 10- خروج المرأة عن طاعة زوجها ظلم.
- 11- إرهاب الشباب بالمهور ومتطلبات الشباب.
- 12- عدم إعداد المحامي مذكرة مناسبة للمرافعة عن موكله أمام القضاء بسبب انشغالاته الكثيرة ظلم.
- 13- تأخر ك عند قدومك إلى معملك أو خروجك قبل إتمام العمل ظلم وقد اتفقت مع صاحب العمل على مواعيد محددة.
- 14- ارتكاب المحرمات ظلم.
- 15- حرمان البنات من الميراث ظلم.
- 16- عدم المساواة بين الأولاد في العطاء دون مبرر ظلم.

هذه بعض صور سردتها لكم في ظلم نخشى إن شاع واستمرأه الناس أن يكون وقت الهلاك قد حل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..)) [مسلم]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ -اليوم قبل أن تنتقل الى الآخرة- قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ)) [البخاري و الترمذي] أو كما قال...

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.